

الآفات الاجتماعية في الأندلس من منظور الأدب الأندلسي

Social phenomena in Andalusia from the Perspective of Andalusian Literature

نصيرة كبير*

جامعة بلعاج بوشعيب، عين تموشنت (الجزائر)

Okebir80@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/06/25

تاريخ الاستلام: 2023/03/07

ملخص:

عرف المجتمع الأندلسي عدّة آفات اجتماعية مسّت مختلف جوانبه وبخاصّة الجانب الأدبي بأنواعه، بشعره ونثره، بفصيحته وشعبية. وذلك نتيجة لانتشار اللهو والمجون والفساد داخل المجتمع الأندلسي، بسبب إطلاق بعض الحريّات للشّعراء والكتّاب من قبل الحكّام والملوك الذين اعتادوا كراسي الحكم دون منازع. وهذه الظاهرة دفعت بعض الشّعراء والكتّاب المعادين للفساد إلى العمل من أجل معالجة تفاقم الوضع والحدّ من انتشار الفساد كآفة، كادت تقضي على الإصلاح تماماً.

كلمات مفتاحية: الآفات، الاجتماعية، الأندلس، الأدب الأندلسي.

Abstract:

Several social phenomena have impacted the Andalusian society's various aspects, particularly the literary side of all kinds: poetry, prose, and folklore. In fact, the former is the result of the spread of fun and madness, as well as corruption, within Andalusian society. Furthermore, it was due to the freedom granted to poets and writers by rulers and kings who sat in government unchallenged. This phenomenon has inspired some anti-corruption poets and writers to work to reduce corruption's spread.

Keywords: social; phenomena; Andalusia; Andalusian Literature

1 . مقدمة:

عرف المجتمع الأندلسي آفات اجتماعية وانحرافات سلوكية مسّت مختلف جوانب الحياة وتراوحت بين الغزل الماجن بالمؤنّث والمذكر وعشق الغلمان والولع بشرب الخمرة، تسببت في انحراف المجتمع الأندلسي عن المسار الصحيح للجانب الديني وقيمه ومبادئه وأحكامه ممّا زاد من تفاقم الوضع وانفلات زمام الأمور لدى الحكّام والرعيّة على حدّ السواء، إذا فما هي عوامل تفشّي الآفات الاجتماعية في الأدب الأندلسي؟ وكيف أثّرت في الأدب الأندلسي نفسه؟ وكيف تمّ علاج الوضع حتّى لا يتفاقم ويؤدّي بالمجتمع الأندلسي إلى طريق مسدود؟

* نصيرة كبير

1. مفهوم الآفة الاجتماعية:

1.1 التعريف اللغوي: الآفة في اللغة معناها العاهة، أو العلة، أو المرض، أو هي عرض مفسد لما أصاب

شيء ما، ويقال: إيف الزرع أي أصابته آفة فهو مؤوف، وآف القوم وأوفوا أي دخلت عليهم آفة، ويقال النسيان آفة العلم، وآفت البلاد تؤوف صارت فيها آفة، والجمع آفات.¹

ويقال آفة الظرف الصلف والثابت أن هذا المعنى يقتصر على المرض وحده، وهو معنى غير محصور في المؤلفات الأدبية فحسب، بل يتجاوزها ليختص بالمؤلفات الطبية التي استعملت مصطلح آفة للدلالة على المرض، وقد جاء مصطلح آفة بصيغة اسم فاعل مؤوفا أي مصابا بمرض أو علة.²

2.1. التعريف الاصطلاحي: يمكن أن تكون الآفة في الغالب أمرا لا يستطاع رده أو دفعه كالحرق أو

البرد الشديدين اللذين يصيبان المنتج النباتي من زرع وثمر، ولا دخل لآدمي في صنعها، وهي ما تعرف بالجائحة³. وقد تكون عاهة جسدية تصيب الإنسان خلقة كالعور أو العمى، أو العرج أو غيرها. كما يمكن أن تكون عيبا خلقيًا أو خلقيًا يحتمل أن يحملها إنسان أو حيوان.⁴

وما يمكن ملاحظته هو أن التعريفين اللغوي والاصطلاحي متقاربان في المفهوم، كما يلاحظ من خلال هذه التعريفات أن مصطلح آفة إما لغويًا أو اصطلاحيا؛ لم يطلق حصريًا على معنى معيّن، ونجده أقرب تعبيرًا للألفاظ التي يعبر بها عن العاهة المرئية أو الحسية.

وبهذا نستخلص أن المتقدمين لم يستخدموه لمفهوم دال على ما يعانيه المجتمع من انحلال خلقي مسّه في مختلف أطواره التاريخية، وعليه يمكن أن نأتي بمصطلح دالّ على الانحلال أو الانحراف الأخلاقي لأي مجتمع والمتمثل في لفظة " فسق " الذي هو العصيان و التّرك لأمر الله عزّ وجلّ، والخروج عن طريق الحقّ، وهو الفجور والميل إلى المعصية ويقال: نساء فواسق أي فواجر.⁵

2. عوامل تفشي الآفات الاجتماعية بالأندلس وآدابها:

العوامل التي ساعدت على تفشي الآفات الاجتماعية بالأندلس كثيرة، إذا ما أردنا الحديث عنها كلّها، لكن المقام لا يسع له، لذلك سيتمّ القصر على ما كان للأدب الأندلسي من خطوة في إشارته في مؤلفاته شعرية كانت أم نثرية.

ففي مجال الشعر نجد أنّ بعض الشعراء انتهوا بالشعر، بعد تهذيب الإسلام لمناحيه و إنلته، إلى أسفل الدركات، وذلك بجعل الشعر وسيلة تكسب واسترزاق لسدّ حاجياتهم الاقتصادية، التي انهارت جزاء فرض الجباية والجزية، وما زاد من تأزم الوضع الذي خلف حالة مزريّة وصل إليها المجتمع الأندلسي حكامًا ورعية، وخاصة عند مقربة انتهاء عهد ملوك الطوائف، وبداية تولّي المرابطين الحكم، من أواخر القرن الخامس الهجري والحادي عشر

للميلاد (5هـ/11م)، وإلى أواخر القرن السادس الهجري والثاني عشر للميلاد (6هـ/12م)، أي من سنة 488هـ-1095م إلى سنة 541هـ-1146م).

وهو عصر مسّت انعكاساته السّليبيّة الجانب الأدبي، كغيره من الجوانب الأخرى، والتي تمثّلت في تنفّسي آفة اللّهُو والمجون، والتي عدّت بمثابة العامل الأساسي الذي ساعد على انتشار مجالس الطّرب والغناء، ممّا ألزم الشعراء نظم أشعار تتوافق مع عزف الموسيقى، التي تتناسب بدورها مع مجال الرقص والغناء، الذي ساعد بدوره على انتشار الجوّاري المغنّيات والقِيّان بصورة فضيعة، وهذا الأمر جعل بعض الحكّام يشغفون بجوّاريهم وغلمانهم، ومنهم مثلاً نجد المعتمد بن عبّاد، الذي كان شديد الشغف بجاريته إعتما⁶د إلى درجة لا توصف، الأمر الذي جعله ينفرد عن غيره ممّن كان يناظره آنذاك⁷.

كما كان ولعا بفتى يدعى سيف علّقه أسره، وقد قال فيه شعرا وصف لنا فيه مشاعره الجّاهه، منه⁸:

سُمِّيتَ سَيْفًا وَفِي عَيْنِكَ سَيْفَانِ هَذَا لِقَتْلِي مُسْلُومٌ وَهَذَا
أَسْرُهُ، وَتَنَائِي عُنْجٌ مُقْلَتُهُ أَسِيرُهُ، فَكِلَانَا أَسِيرٌ عَانِ

وقد اشتهرت العديد من المدن الأندلسيّة بالجوّاري والمغنّيات والقِيّان، ومجالسهم السّمريّة، ومنها مدينة إشبيلية، التي عرفت باسم مدينة الأدب واللّهُو والطّرب⁹، والتي كان إذا مات فيها عالم وأريد بيع مؤلفاته حملت إلى قرطبة؛ لأنها كانت مركز العلم، وإذا مات مطرب بقرطبة وأريد بيع آلاته الموسيقيّة حملت إلى إشبيلية؛ لأنها كانت مركز الطّرب والرّقص¹⁰، وهو اعتراف صرّح به الفقيه والفيلسوف أبو الوليد بن رشد.

3. الآفات الاجتماعيّة وأثرها في الأدب الأندلسيّ:

استطاعت الآفات الاجتماعيّة أن تمسّ الأدب الأندلسيّ بأنواعه، بفصيحته وشعبيّته، بموشّحه وزجله، وأمثاله الشعبيّة حتّى هي لم تسلم من تأثير الآفات الاجتماعيّة بها.

1.3 الشّعْر الفصيح: فرضت البيئة الأندلسيّة بوضعها الذي آلت إليه أنماطاً فكريّة متعدّدة، دفعت

بالمجتمع إلى اختيار أذواقه، وهذا الجانب مثله أرمدة من الشعراء الذين اتّجهوا صوب ما أملت عليه غرائزهم، وجاشت به عواطفهم¹¹، فتفجّرت قرائحهم وقالوا شعرا، ربّما فاقت تعابيره الفاحشة والمأجنة¹² تعابير الجاهليّة معني، ومن بين هؤلاء نجد ابن حمديس الصّقلي¹³ الذي يقول: ¹⁴

وَنَاهِدَةٍ تَرَبَّتْ كَفُّهَا تَرَائِبُهَا بِسَحِيقِ الْعَبِيرِ
تَصُونُ عَلَى الْقُطْفِ رُمَانَةً مِنْ النَّهْدِ فِي غُصْنِ بَانٍ نَضِيرِ
لَهَا وَجَنَّةٌ صُقِلَتْ بِالنَّعِيمِ وَنَاطِرَةٌ كُجِلَتْ بِالْفُتُورِ

وقد جمع ابن حمديس في شعره مختلف الأوصاف حول المرأة، وما يمكن أن تشبّه به تنعكس على الذكور والتغزل بهم.

كما أنّ الغزل الماجن إضافة إلى التغزل وبالجواري والغلمان، مسّ جانباً آخر، تمثّل في الحمرة والليالي، التي كان يقضيها الشعراء في خلوة، منها ما قاله ابن خفاجة:¹⁵

وَلَيْلٍ تَعَاظِنَا الْمِدَامَ وَيَنِنَا حَدِيثٍ كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى الْوَرْدِ
تُعَاوِدُهُ وَالْكَأْسُ تَعْبُقُ مِسْكَةً وَأَطْيَبُ مِنْهَا مَا نُعِيدُ وَمَا نُبْدِي

وأيضاً ممّن شغف بشرب الخمر ووصفها وصفاً دقيقاً، نجد أبا الحسن بن صالح الشنتمري¹⁶ يقول:¹⁷

وَصَهْبَاءُ لَمْ تُمَسَّ بِنَارٍ وَلَمْ تُدَلَّ بِعَصْرِ وَلَمْ تُوهَن قِوَاهَا بِمَاءٍ
لَحَائِي عَلَيْهَا مِنْ لَحَا فَرَجَرْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: مَهْ لَسْتَ مِنْ قُرْبَائِي
سَأَشْرِبَهَا مَا سَوَّغَ الدَّهْرُ شُرْبَهَا وَعَفَوُ إِلَهَ الْعَالَمِينَ وَرَائِي

وقد بالغ الشعراء بهذا في وصفهم للحمرة إلى درجة اعتبارها عزاءهم الوحيد، الذي يجدون فيه ملاذهم، فيهربون إليها للتفريج عن همومهم ومرارة واقعهم. ومن هنا أصبح هذا النوع من التغزل ظاهرة أدبية لها أشكال نظرية متعدّدة، متغلغلة في غيابات الثقافة الاجتماعية الأندلسية.

والواضح أنّه لتغطية هذا النوع من الغزل الماجن، كان بعض الشعراء يختمون أشعارهم بتصريح يدلّ على أنّ ما جاءت به مجونياتهم، كان من باب الغزل والاستطراف، لذلك نجد في آخر أشعارهم إشارات توضح وتبيّن ميلهم إلى التعفّف والطّهارة، وتفضيلهم لها في شتى الأحوال. ومن بين هؤلاء نجد ما قاله أبو الحسن علي بن حصن الإشبيلي خاتماً مجونيته:¹⁸

لَمْ أَتْلُ مِنْ كُلِّ مَا فُهِ تْ غَيْرَ التَّمَيِّ
إِنَّمَا الشِّعْرُ فُكَاها تْ وَحْسَنِي حُسْنِ ظَيِّ

غير أنّ هناك من ظلّ يحافظ على الطّريقة القديمة في التعبير عمّا يختلجه، رغم ما جادت به قريحته من الغزل، لكن ألزم العقّة والكتمان لعواطفه دون تصريح واضح يفهم من المقصود من ورائه.

ومن بين هؤلاء ابن حزم الأندلسي، الذي صنّف كلّ هذا بطريقة فلسفية في كتابه "طوق الحمامة في الألفة والألف"، وخاصة في باب قبح المعصية، والذي نجده يردف في كل مقطوعة شعرية شاهد من القرآن الكريم ومنها: "ولولا تذكري لقول الله تعالى: "الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" لوقعت في المعصية".¹⁹

وهذه الآفة، التي أصابت الشعر الأندلسي الفصيح، جعلت الكثير من المؤلّفات الأدبية الأندلسية تتحدّث عنه، وبصراحة مطلقة، حين أكّدوا " أنّ خيول فرسان هذا الشأن تفتنوا في ذلك نثراً ونظماً، وتطاردوا ذمّاً ومدحاً".²⁰ وهو تأكيد حظي بالكثير من التأييد ممّن كان ينظر هذه النظرة، ويرفض توجّه الأدب الأندلسي منتهى هذه الوجهة من أمثال مصطفى الشكعة.²¹

وبهذا عرف الغزل الماخن في التاريخ بتسجيله لنقطة سوداء عن المجتمع الأندلسي، وأصبح ظاهرة أدبية خرجت عن المؤلف، وتأصلت في أعماقه كمجتمع إسلامي متميز، حملت الإسلام وحضارته بفتوحات إلى عالم لم يكن مهياً لتقبله، فنجح رغم ما صادفه من عوائق.

2.3 الشعر الشعبي:

1.2.3 الموشحات والأزجال:

الموشحات والأزجال مثلها مثل الشعر الفصيح، لم تختلف عنه في كونها شكلاً فنياً ولج إلى الساحة الأدبية، وعبر عن المجتمع وما عرفه من تطور أدبي أندلسي، أضمر حقيقة عوامل حملت خلفيات اجتماعية، تمثلت في الترف واللهو والمجون وغيرها.

وبذلك بلغت الآفات الاجتماعية في الموشحات والأزجال بلوغاً وشاحياً وزجالياً، وذلك أنّ هذا الفن ظهر نتيجة انتشار الغناء والطرب والرقص، حتى يتناسب كلام الموشح معه، ويفي بالغرض المطلوب.²² والمتمثل في التعبير عن تغزلهم الماخن، فكانت لموشحاتهم أوزاناً أكثر أهل الأندلس من استعمالها، لحاجتهم لها في مواقف غزلهم ونسيبهم.²³

وهو أمر أكده ابن بسام حين اكتفى بالحديث عن صناعة التوشح ذاكرًا " بأنّها أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب.²⁴ وقد تناول الوشاحون النساء بالتغزل في موشحاتهم فلم يتوانوا في وصفهنّ بجمال وجوههنّ وقوام نحيلهنّ، ومن بين هؤلاء نجد عبادة بن ماء السماء يقول:²⁵

حُبُّ الْمَهَا عِبَادَةٌ مِنْ كُلِّ بَسَامِ السَّرَارِي
قَمَرٌ يَطْلُعُ مِنْ حُسْنِ أَفَاقِ الْكَمَالِ حُسْنُهُ الْأَبْدَعُ
لِلَّهِ ذَاتُ حُسْنٍ مَلِيحَةِ الْمُحْيَا
لَهَا قَوَامُ غُصْنٍ وَشَنْفُهَا الثُّرَيَّا
وَالْتَّعَرُّ حُبُّ مُزْنٍ رَضَائُهُ الْحَمِيَّا

كما أنّ هناك من تغزل بالمدكر تغزلاً ماحناً، وفي طليعتهم الوشاح الأعمى التطيلي، الذي قال في موشحة

له:²⁶

عَبْدُ الْمَلِيكِ أَجْبُكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْكَ
مَوْلَايَ حَسْبِي حَسْبُكَ وَقَدْ دُبْتُ وَجَدًا إِلَيْكَ

لكن ما يمكن ملاحظته هو أنّ رغم ما عرفته موشّحات بعض الوشّاحين، من تغزل بالمذكر، إلّا أنّ الموشّحات بصفة عامة، لم تعرف هذا النوع من الغزل إلّا في القليل النادر منها، مثلها في ذلك مثل الخمر، الذي كانت له حظوة كبيرة في القصائد العمودية الكلاسيكية، وقد عرف امتزاجا بالأغراض الشعرية الأخرى المعروفة، كالملاح والغلز ووصف الطبيعة وجمالها الخلّاب، رغم ما كان للخمر من رواج داخل المجتمع الأندلسي شربا وندامة. ومن أشهر الوشّاحين الذين اتّسمت موشّحاتهم بوصف الخمر والتغزل بالندماء، ابن زهر الحفيد الذي يقول:²⁷

أَيُّهَا السَّاقِي إِلَيْكَ الْمُشْتَكِي
قَدْ دَعَوْنَاكَ وَإِنْ لَمْ تَسْمَعْ
وَنَدِيمِ هَبَّتْ فِي غُرَّتِهِ
وَسَقَتْ الرِّاحَ مِنْ رَاحَتِهِ
فَإِذَا مَا فَتَحَ مِنْ سُكْرَتِهِ
جَذَبَ الرِّزْقَ وَاتَّكَأ
وَسَقَانِي أَرْبَعًا فِي أَرْبَعِ

هذا فيما يخصّ الموشّحات، وما مسّها من انحرافات بسبب الغزل الماجن بالمؤنث والمذكر والخمر وغيرها، أمّا الأزجال فقد دخل على أهل الأندلس كفنّ شعبيّ جديد، أولوه من العناية والاهتمام ما أولوه للموشّحات بصفته تابعا لها شكلا ومضمونا، ووليدا للبيئة الأندلسية، إذ لما شاع فنّ التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته، وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضريّة من غير أن يلتزموا فيها إعرابا، واستحدثوه فنّا سموه بالزجل.²⁸

وهو اعتراف صريح بأنّ فنّ الزجل فنّا أندلسيّاً محظاً، ومن أشهر الزجلّين الذين ذاع صيتهم في الوسط الزجليّ الأندلسيّ، نجد ابن قزمان الذي يُعدّ إمام الزجلّين وشيخ صنعتهم الزجلية بالأندلس، وكان " المنفرد بالإبداع بطريقة الأزجال".²⁹ وهو ما يتجلّى بوضوح في ديوانه " إصابة الأغراض في ذاكرة الأعراض"، الذي يعتبر المرأة التي عكست جلياً ظاهرة انتشار الآفات الاجتماعية داخل المجتمع الأندلسي، التي تناقضت مع شعائهم الدنيئة وسلوكاتهم الأخلاقية.

وابن قزمان يظهر من خلال أزجاله؛ أنّه واحد من بين الذين جرفهم تيار اللّهو والمجون، والتغزل بالمؤنث والمذكر وعشق الخمر، إذ نجده يقول:

يَا زَهْرُ، يَا مَلِيحُ، يَا خَنَّاؤُ
مَنْ فِي جَمَاهَا تَاهَتْ الْأَفْكَارُ
إِنَّهُ وَلِلْغَزَالِ مِنْكَ حَزَاؤُ
شَمْسِي، وَزَهْرَتِي، وَهَالِي.
وَدُنْيَا، وَرُوحِي وَحَالِي
وَعَزَالِي

هذا عن الغزل الما جن ووصفه للمرأة، أمّا عن عشقه للخمرة ووصيّته وبشرها، يقول:³¹

أَيُّهَا النَّاسُ وَصِي هِي لِلْجَمِيعِ
صَيِّرُوا خُلَاعَ فَإِنِّي الْيَوْمَ خَلِيعُ

وبهذا يكون فنّ الموشّح والزّجل قد سار مسار الشّعْر الفصّي، رغم وجود بعض الوشّاحين والزّجالين، الذين اجتنبوا الوقوع في مثل هذا التّوع من الغزل الما جن، وظلّوا محافظين على الغزل العفّيف، من أمثال عبادة بن ماء السّماء الذي كان له الفضل في نظم الموشّحات وتقويم إعوجاجها، غير أنّه لم يستطع أن يكتّم، ويعبّر عمّا يختلجه صراحة اتّجاه الطّرف الآخر.³²

وما يمكن ملاحظته هو؛ أنّ الموشّح والزّجل استطاعا كفّن أن يشخصّا تأثير ظاهرة انتشار الآفات الاجتماعيّة في الأندلس، في وقت عجز عن القيام بذلك الخطّاب التّاريخي، الذي كان محظورا آنذاك.

3.3 الأمثال الشّعبيّة:

ندّدت الأمثال الشّعبيّة - التي جاءت في معظمها بين الجد والهزل - بهذا النّوع من المجون الذي ارتبّت له المجتمعات الإسلاميّة والتّجّت، وذلك باستهجانهم له، لأنّه خالف الكثير من المبادئ والقيم الإسلاميّة التي جاء من أجلها الفتح الإسلاميّ إلى الأندلس.³³

ومن بين الأمثال التي تناولت ظاهرة الانحرافات والآفات الاجتماعيّة، وكشفت عنها سرّاً وعلائيّة، نجد ما جاء في محاربته للزّنا، والتي شكّلت معضلة اجتماعيّة كبيرة، ومن بينها مثلاً:

"لا تسرق مع من سرق ولا تزّن مع من زنى"³⁴.

أما ما جاء منها يعاقر الخمر قولهم: "اشرب بالزّلام (النّاي)، قال: البوة استرلي".³⁵

والذي دعا إلى شربها في السرّ دون مجاهرة بها.

كما أنّ هناك أمثال أخرى تناولت ممارسات الشّعوذة والكهانة والتّنجيم والسّحر، ذاكرة المنشغلين بها بقولهم: "ضربة الخفيف المقرّ والتّكتيف"، معتبرين هذه العمليات بما تمارسه من قواعد التّكتيف والعصا أساساً من أسس الحسبة والشّريعة.³⁶ ممّا ساهم في تأصلها في المجتمع الأندلسيّ اعتقاداً وعملاً.

وبهذا سعت الأمثال بالدّعوة إلى التّستر على ممارسة الزّنى والبغاء، وشرب الخمر، ومحاربة السّحر والتّنجيم، وغيرها من الآفات الاجتماعيّة، التي شاعت وانتشرت في الأندلس آنذاك.

4. معالجة تفاقم الوضع :

نظراً لانتشار الآفات الاجتماعيّة التي ساهمت في انحرافات المجتمع الأندلسيّ، ممّا زاد من تفاقم الوضع داخله، كان لابدّ من وجود ما يساهم في معالجة هذا الوضع، فظهر الشّعْر الاجتماعيّ إلى الوجود، وكان له دور في ذلك بما قام به من هجاء لاذع لهذه الحالة، التي آل إليها المجتمع الأندلسيّ. ومن بين هؤلاء نجد الشّاعرين: ابن

العسّال وابن إسحاق الأبييري، اللذين كان نقدهما اجتماعيًا لاذعًا، تميز بالصّغة الدّينية الرّهبانية أكثر منه شعر اجتماعي هجائي، وخاصة في عصر المرابطين.³⁷

وأيضا الشاعر الأعمى المخزومي، الذي كان هجاؤه لاذعًا، يكشف أغوار الغيب في مجتمعه دون خوف ورهب، وذلك تعبيرا عما آل إليه مجتمعه من فساد وفسوق. وذلك كونهم اعتبروا "أخفّ النَّاس أرواحا، وأطيعهم نوادرا، وأحملهم لمزاج بأقبح ما يكون السّب؛ فقد مرّونا على ذلك فصار لهم ديدنا حتّى صار عندهم من لا يتنذل ومن لا يتلاعن ممقوتا ثقيلًا".³⁸

ورغم أنّ هذا النوع من الشعر الاجتماعي، كان في ظاهره وسيلة للسّخرية والاستهزاء لتسلية المجتمع فكاهة، إلّا أنّه حمل في ثناياه هجاء لاذعًا، تضمّن نقدا إصلاحيا لغرض محاربة الانحرافات الاجتماعية التي مسّت الأندلس.

وأيضا من بين هؤلاء الشعراء الذين هجوا تفاقم الوضع نجد ابن باجة، الذي كان فيلسوفا وشاعرا لا يجاري مجتمعه أو يحاكيه في واقعه، وقد مثّلت أفكاره وسيلة رمزية في نقد مجتمعه، بحيث عبّر في مؤلفه "تدبير التوحيد"، بكل ما يملك عن هذا المجتمع،³⁹ الذي صار في الحضيض ينتظر من ينتشله من الضياع. لأنّ كيانه قد تصدّع وتصدّره السياسي قد أصيب بالوهن، ومظاهره السلوكية قد اشتغلت بالمجون، وعجزت عن عتق نفسها من عبودية الفساد الذي أصبح ورما يصعب استئصاله من أعماقه، ولذلك كان من الضروري وجود فئة تتمتع بالوازع الدّيني وتذكّر ماذا تريد وإلى أين تصل، وماذا تأصل في هذا المجتمع، الذي صار يتخبّط بين مدّ وجزر، ينتظر إشرقة جديدة لشمس تحمل معها إشعاعا كلّه أملا يعيد لها كيائها المرهون بواقع الفساد والفسوق.

5. خاتمة:

وخلاصة القول أنّ المجتمع الأندلسي عرف آفات اجتماعية أدّت به إلى انحرافات، مسّت مختلف جوانب الحياة، اتسمت بالغزل الماجن بالموث والمذكر، وعشق الخمر والولع بشرها وبندهائها، ممّا سبّب خروجها عن القيم الإسلامية والمبادئ الخلقيّة التي دعت إليه الحنيفيّة السّمحاء عند قدومها أيام فتوحاتها على أيدي قائديها، وبالنّظر إلى هذا الأمر، وإعادة البصر إلى معالجة تفاقم الوضع الواجب إصلاحه، قام بعض الشعراء بنظم أشعار اجتماعية لاذعة الهجاء للحالة التي آل إليها المجتمع الإسلاميّ الأندلسي، ساهمت في تراجع هذه الآفات ومعالجة بعض الانحرافات المؤدية إلى الفسوق والفساد، التي أنزلت المجتمع الأندلسي إلى الحضيض.

6. الهوامش:

1- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص794.

- 2- عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر، كتاب التيسير في مداواة والتدبير، تح: محمد بن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1991م، ص121.
- 3- عبد الرحمن عبد المنعم محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار النص للطباعة الإسلامية، دار الفضية للنشر والتوزيع، ج1، ص119.
- 4- أبو إسحاق الغرناطي، الوثائق المختصرة. تح: إبراهيم السهلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1432هـ-2011م، ص32.
- 5- جمال الدين محمد مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، مجلد 10، دار صادر بيروت، لبنان، ص308.
- 6- إعتقاد: هي الرميكية التي تزوجها المعتمد بن عباد بعد ولده بها وعشقه لها، وذلك لكثرة الجمال الذي كانت تتصف به دون غيرها من الجوّاري.
- 7- محمد بن بكر أبو عبد الله القضاعي بن الأتار، الحلة السيّراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2، 1985م، ج2، ص43.
- 8- المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد، تح: أحمد أحمد بدوي، ص27.
- 9- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، 1388هـ-1968م، ج1، ص208.
- 10- المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص155.
- 11- الكتاني محمد أبو عبد الله، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، من ص121 إلى ص146.
- 12- الماحنة: من المنظور اللغوي والاجتماعي هو: "الذي يرتكب المقابح المتريفة، أو الفضائح المخزية، ولا يحمضه عدل عادل ولا تفريع من يفرعه". ينظر أحمد الشايب، الضحك في الأدب الأندلسي ودراسة في وظائف الغزل وأنواعه وطرق اشتغاله، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، المغرب، ط2، 2008م، ص374.
- 13- ابن حمديس الصقلي هو: أبو أحمد عبد الجبار بن أبي بكر الأزدي (ت527هـ/ 1133م)، دخل الأندلس سنة 471هـ/ 1078م، مدح المعتمد بن عباد، وبني زيري، ونظرا لاضطراب الأحوال غادر الأندلس إلى دولة بني حماد ببجاية، توفي بميورقة. ينظر: ابن خلكان أبو العباس محي الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، دت.
- 14- ابن حمديس الصقلي، ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1960م، ص179.
- 15- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تح: سيد غازي، منسأة المعارف الإسكندرية، 1979م، ص349.
- 16- الشنتمري: من شعراء المائة الخامسة، لا تذكر الكتب التي ترجمت له تاريخ ميلاده أو وفاته. ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج1، ص397، رقم 283.
- 17- علي بن بسام الشنتمري الأندلسي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ-1997م، ج1، ص584.
- 18- ابن بسام، المصدر نفسه، ص162-163.

- 19- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، مطبعة حجازي، 1369هـ-1950م، من ص267 إلى ص306.
- 20- ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص144.
- 21- ينظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وحقوقه، دار العلم للملايين، ط5، 1983م، ص53.
- 22- فوزي عيسى سعد، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م، ص13.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط11، د ت، ص451.
- 23- ابن بسام، الذخيرة، ج1، ص496.
- 24- ابن بسام، المصدر نفسه، ج1، ص469.
- 25- الكتبي محمد بن شاکر، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ج2، ص152.
- 26- لسان الدین بن الخطيب، جيش التوشیح، تح: هلال ناجي - محمد ماضور، تونس، ص60.
- 27- لسان الدین، المصدر نفسه، ص202.
- 28- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، دار تحفة مصر للطبع والنشر، ص707.
- 29- ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادِم، تح: إبراهيم الإياري، 1410هـ-1989م، ص95.
- 30- ابن قزمان القرطبي، إصابة الأغراض في ذكر الأعراض، تقديم: محمود علي مكي، مصر، 1415هـ-1995م، ص385، رقم الزجل 127.
- 31- ابن قزمان، المصدر السابق، ص310، رقم الزجل 94.
- 32- الفتح محمد بن خاقان، فلائذ العقيان ومحاسن الأعيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الأردن، 1409هـ-1989م، ص765-766.
- 33- الزجالي، من ص43 إلى ص380، الأمثال من رقم 165 إلى 169.
- 34- أبو يحيى عبيد الله الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، المغرب، ص131، المثل رقم 791.
- 35- الزجالي، المصدر السابق، ص22، المثل رقم 78.
- 36- الزجالي، المصدر السابق، ص273، المثل رقم 1632.
- 37- المقرئ، المصدر السابق، ج3، ص120.
- 38- المقرئ، المصدر السابق، ج3، ص212.
- 39- المقرئ، المصدر السابق، ج3، ص212.

7. قائمة المراجع:

- ابن الأبار، المقتضب من كتاب تحفة القادِم، تح: إبراهيم الإياري، 1410هـ-1989م.
- ابن حمديس الصقلي، ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1960م.
- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تح: سيد غازي، منسأة المعارف الإسكندرية، 1979م.

- ابن قزمان القرطبي، إصابة الأغراض في ذكر الأعراض، تقديم: محمود علي مكي، مصر، 1415هـ-1995م.
- أبو إسحاق الغرناطي، الوثائق المختصرة. تح: إبراهيم السهلي، الجامعة الإسلامية بالمدينة، المدينة المنورة، 1432هـ-2011م.
- أبو يحيى عبيد الله الزجاجي، أمثال العوام في الأندلس، تح: محمد بن شريفة، المغرب.
- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: احسان عباس، دار صادر، 1388هـ-1968م.
- جمال الدين محمد مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب، مجلد 10، دار صادر بيروت، لبنان.
- شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط11.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
- عبد الرحمن عبد المنعم محمود، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، دار النص للطباعة الإسلامية، دار الفضية للنشر والتوزيع.
- عبد الملك بن أبي العلاء بن زهر، كتاب التيسير في مداواة والتدبير، تح: محمد بن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، 1991م.
- علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، مطبعة حجازي، 1369هـ-1950م.
- علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1417هـ-1997م.
- الفتح محمد بن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ومحاسن الأعيان، تح: حسين يوسف خربوش، مكتبة المنار، الأردن، 1409هـ-1989م.
- فوزي عيسى سعد، الموشحات والأزجال الأندلسية في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990م.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.
- الكتاني محمد أبو عبد الله، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- الكتبي محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.
- لسان الدين بن الخطيب، جيش التوشيح، تح: هلال ناجي - محمد ماضور، تونس.
- محمد بن بكر أبو عبد الله القضاعي بن الأبار، الحلة الستّراء، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، ط2.
- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وحقوقه، دار العلم للملايين، ط5، 1983م.
- المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد، تح: أحمد أحمد بدوي.